اللغة العربية وثقافتها في نيجيريا من1960 م إلى 2009م

بقلم

د. لطيف أونيريتي إبراهيم

المحاضر بقسم اللغة العربية،

جامعة إلورن، إلورن، نيجيريا.

Dr. Lateef Onireti Ibraheem

Department of Arabic,

University of Ilorin,

Ilorin, Nigeria

مقدمة

لقد سجل بعض علماءنا أحوال اللغة العربية وثقافتها في نيجيريا من بداية أمرها إلى وقت استقلال البلاد من قيود الاستعمار، كما أفرد بعضهم الجوانب المختلفة منها بالدراسة بعد الاستقلال، فأصبحت الحاجة ماسة إلى من يعيد النظر في هذه القضية بصفة عامة خصوصا في الفترة ما بعد الاستقلال إلى الوقت الراهن، فقام هذا البحث لسد هذا الفراغ.

ولتحقيق الهدف المنشود انقسم البحث إلى أربعة أقسام بعد المقدمة، فالقسم الأول، يناقش نظام تدريس اللغة العربية وثقافتها في مختلف المراحل التعليمية في البلاد، وأخذ القسم الثاني الشعر العربي بالدراسة، بينما أمعن القسم الثالث النظر فى النثر الفني العربي، وكان القسم الرابع خاتمة وهي عبارة عن خلاصة البحث ونتائجه

نظام تدريس اللغة العربية في نيجيريا:

بعد استقلال نيجيريا من نير الاستعمار البريطاني عام 1960م بدأت[1] الدول العربية بفتح سفاراتها في البلاد فسنح ذلك فرصة توافد الأساتذة العرب، خصوصا من مصر والسودان والسعودية إلى المدارس النظامية التى ظهرت في منتصف القرن العشرين إلى أوائل السيتينات منه، كمدرسة الشريعة في كنو المؤسسة عام 1937م والتى غير اسمه إلى مدرسة العلوم العربية عام 1947م، ومركز التعليم العربي الإسلامي الذى أسسه الشيخ آدم عبد الله الإلوري سنة 1952م بأبيكوتا أولا ثم انتقل إلى أغيغي ثانيا عام 1954م، والمعهد العربي الأدبي بأووو عام 1955م ومؤسسه الشيخ خضر صلاح الدين أباوكاغي، والمعهد العربي النيجيري أسسه الشيخ مرتضى عبد السلام بإبادن عام 1957م وكلية النهضة الإسلامية للشيخ شريف في بلابلين بميدوغوري عام 1957م، والمعهد الديني الأزهري بمدينة إلورن لجماعة أنصار الإسلام. ، كما تم تزويدها بالكتب في مختلف العلوم العربية، فتغير منهج تدريس

اللغة العربية إلا أن بعض مديري هذه المدارس لما رأوا أن أكثر هذه الكتب لا يوافق وأذواق الطلاب النيجيريين– كما لاحظ ذلك سليم حكيم العراقي[2]– بدؤا إعداد المقررات المدرسية بأنفسهم وتخلصوا من أساتذة العرب أمثال مركز التعليم العربي الإسلامي بأغيغي وفروعه، فكانت النتيجة الصادرة من الطريقتين في صالح التعليم العربي، حيث تخرج هذه المدارس الطلاب المجيدين للغة العربية خطابة وكتابة، فأصبحت المدارس تنال الإقبال من المسلمين الذين غادروا تعلم الدراسات العربية والإسلامية عندما جاء المستعمرون بنظام التعليم الجديد الجذاب المغري. وأخذت تتفرع إلى أرجاء نيجيريا وما جاورها حتى لا تكاد تبقى مدينة ولا قرية ولا ريف خصوصا في الإقليم الشمإلى والغربي من البلاد إلا وفيها مدرسة نظامية تابعة لهذه المدارس الرئيسة، وكان لخريجيها دور فعّال في هذا الإنتشار.

ومما زاد هذا الإقبال الشديد إمكانية الحصول على منح دراسية من الدول العربية عقب التخرج من هذه المدارس، التى من إثرها توالت بعثات علمية إلى مصر والسعودية وليبيا والعراق والمغرب والكويت وتونس وغيرها. رجعت البعثات إلى أرض الوطن على الأغلب بعد الحصول على الدرجات الجامعية كالليسانس أو الماجيستير أو الدكتوراه، فانضم أكثرهم في سلك التدريس في المدارس التي تخرجوا فيها أو ما شاكلها، أو في المدارس الحكومية، الإبتدائية والثانوية كما يدرسون في المعاهد والكليات العالية والجامعات، فكان لهذه الظاهرة أثرها الإيجابي في أسلوب التدريس والإنتاجات الأدبية في هذه الديار، وخصوصا عندما حصل بعضهم علي درجة الدبلوم العالى في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها ببرنامج إعداد المعلمين وتدريب المعلمين في المملكة العربية السعودية

وقد أسست أقسام اللغة العربية والدراسات الإسلامية في بعض جامعات نيجيريا أسوة بجامعة إبادن التى كانت تقبل أي طالب ذى شهادة إبتدائية أو إعدادية يريد الإلتحاق بقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بغض النظر عن خلفيته الضعيفة في اللغة العربية ويلبث الطالب مدة عام في إحدى الدول العربية للدراسة التعويضية لترميم نقصه في اللغة العربية[3]، ومن نتيجة هذا النظام وجود

مسيحي بدأ تعلم العربية في المرحلة الجامعية وحصل على درجة الليسانس فيها بالإمتياز، فأصبح أول من نال درجة الأستاذة فيها في جنوب البلاد، فهو البروفيسور أيسق أوغنبيي[4]، الا أن هذا النظام قد ألغي إلىوم وعوض بتأسيس قرية اللغة العربية في إنغالا بميدوغوري، التى يختلف إليها طلاب اللغة العربية في الجامعات والمؤسسات العالية في نيجيريا، ليتكيفوا لمدة سنة ببيئة عربية حالصة. إلا أن هذه القرية لم تقم بواجبها بشكل جيد كما تقوم نظيرتها القرية الفرنسية في بداغري . ومن هذه الجامعات جامعة بيرو بكنو، وجامعة عثمان بن فوديو بصوكوتو، وجامعة ميدوغوري، وجامعة إلورن، وجامعة أحمد بلو بزاريا، وجامعة ولاية ليغوس، وجامعة جوس، وجامعة أبوجا، وجامعة ولاية كوغي، وجامعة ولاية كتسنا، وجامعة ولاية أداماوا، وجامعة ولاية نسراوا، وجامعة أدو أيكيتي (التى لها فرع في كلية التربية بإلورن) وجامعة الحكمة في إلورن وجامعة فاونتين بأوشوبو، ولاية أوشن وغيرها ـــ فهذه الجامعات تقبل الطلبة المتخرجين على الأكثر في المدارس الأهلية، وليوفّوا بمتطلبات الإلتحاق بالجامعة وضعت لهم برنامج الشهادة والدبلوم، وبمعادلة بعض المدارس على أساس برنامج الدبلوم، كمعادلة برامج كلية محي الدين للدراسات العربية والإسلامية في إلورن، مع جامعة أحمد بلو بزاريا، ومدرسة صفوة الإسلام بأجيغنلي إلو، ولاية ليغوس ومع جامعة ولاية ليغوس، ومركز التعليم العربي الإسلامي بأغيغي، ليغوس مع جامعة إلورن، إلورن.وبينما كان شرطا لحامل هذا الدبلوم أن يحمل شهادة مجلس غرب إفريقيا للإمتحانات(WAEC) أو الشهادة العامة للإمتحانات (GCE) أو شهادة المجلس الوطني للإمتحانات(NECO) وينجح على الأقل في خمس مواد بتقدير جيد بشرط أن تكون من بينها الإنجليزية إلا حامل دبلوم جامعة بايرو أو دبلوم جامعة إلورن، فهو لا يحتاج إلى مؤهلات إضافية للالتحاق بهاتين الجامعتين، فهذا العمل جعل عدد الملتحقين بالمدارس التى لها معادلة مع الجامعتين يربو يوما بعد يوم. و لتوسيع فرصة خريجي هذه المدارس النظامية لمواصلة تعلمهم إلى الدرجة العالية أسست حكومات ولايات الشمال كلية اللعة العربية والشريعة الإسلامية في مدينة غومبي وفي ميسو ببأوشى عام 1977م حيث كانت تعرف بمدرسة الدراسات الإسلامية العالية أولا ثم تحولت إلى كلية الدراسات العربية والشريعة الإسلامية عام 1982م[5]

كما أسست حكومة ولاية كوارا مثل هذه الكلية في إلورن عام1992م قامت هذه الكليات كالوسيط بين المدارس الأهلية والجامعات حيث يؤهل دبلومها الطلبة للإلتحاق بالجامعات كما يؤهلهم للتدريس في المدارس الإبتدائية والعمل في الحقول الحكومية. أسست هذه الكلية أساسا لتعليم اللغة العربية والدراسات الإسلامية والشريعة والقانون ولكن أضيف إلى برامجها في إلورن مواد أخرى كالإنجليزية، والتاريخ، واللغتين هوسا ويوربا، والصحافة، وعلوم المكتبة والكمبيوتر، والتربية. ويجدر بالذكر أنها جعلت اللغة العربية على المستوى الإبتدائى ضرورية لكل من يتعلم القانون والشريعة أول وهلة ثم أصبحت دراسة عامة ضرورية لكل طالب في الكلية منذ عام 2004م بغض النظر عن ديانته، وكان المسحيون يحصلون على التقدير الجيد في المادة، وحتى عمال الكلية استفادوا منها لمن يرغب فيها منهم.

كانت كليات التربية من المدارس العالية التي يجد فيها خريجو المدارس الأهلية والحكومية منشوداتهم، تؤهلهم شهادتها للإلتحاق بالجامعة، وللتدريس في المراحل الإبتدائية والمتوسطة كمدرسين مؤهلين. وبينما يلتحق خريجو المدارس الحكومية الثانوية بها بسهولة. يواجه طلاب المدارس الأهلية الصعوبة في ذلك لأجل الإنجليزية. ولكن في ولاية كوارا كان الأمر على أحسن ما يرام لأن حكومة ولاية كوارا قد عملت في توحيد مناهج هذه المدارس و تعقد وزارتها التربوية لطلابها الإمتحان، وتمنحهم شهادة تعادل الشهادة الثانوية، وتؤهلهم لمواصلة الدراسة في المدارس والمعاهد العإلة ، وإضافة إلى ذلك هناك قسم للغة العربية كانت العربية هي لغة التعليم فيها . وقد تخرج عدد لا يستهان به من حماة الثقافة العربية والإسلامية من أبناء المسليمين في هذه الكليات. ولقد شارك الحكومة بعض المنظمات الإسلامية والأفراد الأغنياء في تأسيس مثل هذه الكليات خدمة للإسلام ولغته العربية ككلية أنصار الدين التربوية لجمعية أنصار الدين الشهيرة في إصولو، ليغوس، وكلية أوابي واشيريري التربوية بأوسوسا، التي تحولت اليوم إلى قسم من جامعة تيي شولارن التربوية في إكيني، ولاية أوغن، وكلية موفو لاننهن التربوية بإبادن وغيرها.

وهناك عدد من كليات المعلمين أسستها الحكومة في شمال البلاد وإلورن بهدف إعداد المعلمين للمدارس الإبتدائية ككلية الدراسات العربية والإسلامية بجيبا، ولاية كوارا. كما ساهم مدارسنا الإبتدائية والثانوية الحكومية في نشر الثقافة العربية بين المثقفين بالثقافة اللإنجليزية، إلا أن مشكلة المنهج وعدم توفر المعلمين الأكفاء، وعدم الإعتناء والتشجيع الكافي من الحكومة وغير ذلك، كلها أمور تعرقل تحقيق الآهداف المنشودة فيها. ولذلك قام في هذه الآونة بعض المنظمات والأفراد الغيورون على الإسلام ولغته العربية بإنشاء مدارس إنجليزية أهلية تعترف بها الحكومة ووضعوا منهجا جديدا يهتم بغرس الثقافة العربية الإسلامية جنيا إلى جنب مع الثقافة الغربية بداية بالروضة إلى الثانوية، وقد بدأت جهودهم تثمر. فأمثلة هذه المدارس مدارس طيبة في بغادا ليغوس، ومدارس الدين في شلنج بإبادن، ومدارس إقرأ بإلورن وغيرها.

والذين فاتهم التعلم العربي الإسلامي قبل إلتحاقهم بالمعاهد العالية كانت جمعية الطلاب المسلمين في نيجيريا(MSSN) تسد لهم الفراغ بعقد حلقات تدريبية للتعليم العربي الإسلامي. كما كانت المنظمات والجمعيات للصلاة على النبي ،كجمعية الناصر الفاتح، وجمعية الفتح القريب، وحلقة بدر الدين الإسلامي للصلاة على النبي، تتولى تثقيف الكبار والشباب الذين فاتتهم الثقافة العربية الإسلامية في عنفوان شبابهم. فهؤلاء إلىوم يستطيعون قراءة –على الأقل– أذكار حلقاتهم ومنظماتهم قراءة وحفظا كما يستطيعون تلاوة مختارات من أي الذكر الحكيم ويعتزون بدينهم الحنيف ولغته الجليلة. وكذلك يبذل بعض الزوايا الصوفية مجهودات جبارة في مكافحة الجهل مثل زاوية الشيخ شريف إبراهيم بميدوغوري[6]وزاوية صفوة الإسلام بأجيغنلي للشيخ عبد الوهاب زبير الغماوي فيما نعلم .كما تساهم المجتمعات الإسلامية في بعض الجامعات في تعليم الكبار القرآن كما كان الأمر في جامعة إبادن حيث يعقدون الحفلات لتكريم من ختموا قراءة القرآن.

الشعر العربي النيجيري من 1960م إلى 2009م

تطور الشعر العربي تطورا هائلا عجيبا في الفترة بين 1960م و2009م في تاريخ الأدب العربي في نيجيريا، والعوامل التى هيأت ذلك كثيرة منها المدارس التى تعلم طلابها كيفية نظم الشعر وتشجعهم على قرضه بتنظيم مسابقات وأمسيات شعرية للطلاب، وأمرهم بقرض الشعر في مناسبات معينة على غرار ما صوره لنا الشاعر عيسى ألبي أبوبكر حين أمره شيخه آدم عبد الله الإلوري بقرض شعر بمناسبة ذكرى الهجرة النبوية الأولى من نوعها في نيجيريا فقال الشاعر:

إني دعيت بأن أقـــول قصيدة ** ذكرى لهجـــرة سيد الأبـــرار
ما كنت آمـــــل أنـني يومـا أُرَى ** أرأى بهذا الفضل في الأخـــيار
باركت في عملي فصرت مشجعا ** شيخي وقمت مهززا أوتـاري[7]

ومن هذه العوامل توفر الكتب الأدبية قديمها وحديثها، وتوفر دواوين الشعراء العرب وعلماء هذه البلاد القدامي استفاد منها شعراؤنا وحاولوا أن يتشبهوا بهم حتى أصبحوا مثلهم، ونرى ذلك جليا في هذه الأبيات للشاعر نفسه حيث صرح أنه استفاد من أحمد شوقي وحافظ إبراهيم وذلك في قوله:

بهما نلت نفحة الشعر حتى ** صرت فى القوم من خيار حماته[8]

لم يتم بين الشاعر عيسى ألبي وشوقي وحافظ مقابلة شخصية وإنما تأنس معهما عبر دواوينهما وكتب الأدب.

ومن هذه العوامل المناسبات الإجتماعية والسياسية والدينية والتربوية، كمناسبة الزفاف، والولادة ومولد النبي ،وتعيين شخص لمنصب، والرجوع من الحج أو من البلدان الأجنبية كأميريكا، وبناء المنزل أو المسجد، واشتراء السيارة، والحصول على درجة علمية، وتأسيس مؤسسة وبلوغها سنة ما في تاريخها،

وحلول عيد أو شهر رمضان المبارك، وغيرها، تثير هذه المناسبات عواطف الشعراء النيجيريين فينظمون الشعر لإحيائها والإحتفال بها وذكراها أو تصويرها. فهذه المناسبات بغير شك وسع دائرة موضوعات الشعر العربي في البلاد.

كما أعطت الوقائع الطبيعية كوفاة عزيز على الشاعر و الحوادث الفجائية مثل حادثة سبتمبر11 في أميريكا والأوضاع المؤسفة كظلم راع لرعيته، أعطت الشعراء فرصة سانحة للتعبير عن شعورهم ،وشكاية آلام أمتهم، والإنشاد بآمالهم.

فهذه العوامل أدت إلى كثرة الشعر وأغراضه حتى لم يبق غرض من الأغراض الشعرية المشهورة لدى العرب إلا وطرقها الشعراء النيجيريون إلا الخمرية والمجون والزندقة، والسبب في ذلك هو أن هذه الأغراض تخالف تعإلم الإسلام الذى ينتمون إليه، بل الغرض الأساسي لتعلمهم العربية أصلا هو فهم الإسلام ولذلك يصطبغ شعرهم بالصبغة الإسلامية كما سنبين ذلك فيما بعد. فمن باب التوضيح يشتمل الأغراض التى طرقها النيجيريون في الفترة التى نحن في صددها على ما يلي: الثناء على الله والمدح والرثاء والوصف والغزل والهجاء والفخر والحكمة والزهد والوصية والمناجات والاستغاثة والشعر السياسي والشعر الإجتماعي والنقائض والشعر الشعوبي.

الثناء على الله:

كثيرا ما يفتتح الشعراء النيجيريون قصائدهم بالحمد والثناء على الله، تقديرا لمننه عليهم وتعظيما لقدره جل جلاله ولإيمانهم بأن خير ما يفتتح به اسم الله، وأن كلما بُدئ بدونه فهو أبتر، فمن هؤلاء أحمد أبوبكر أَباجَيْ الأفوى، الذي افتتح قصيدته الترحيبية للشيخ محمد جامع دنداو وغيره لمناسبة وليمة ختم القرآن الكريم بمدينة أوفا يوم السبت 22 من جمادى الثانية 1409هـ الموافق 28 يناير 1989م قال فيها:

سبحان من هو خـــالق الإنســـان ** متساوى الأعضا بلا نقصـان

ذو المن والفضل العظيم على الورى ** ذو العزة العليا كذا السلطـان

هـــو واحـــــد في ذاتـــه وصفـاته ** حقـــا فليس سواه للأكـوان

إنـــا لنشـــكر دائـــــما نعمـائه ** أهـــدي لنا جما بلا حُسبان

وكتـــــابه القـــــرآن أنـــــزله لنا ** وحيا على المبعوث من عدنان[9]

ومنهم من فصل لذلك قصيدة كاملا مثل موسى أبيكن وذلك في قصيدة مطلعها:

سبحان من بدع العوالم كلها ** واختص إمرتها وأحكم صنعها[10]

و منهم من خصص له ديوانا أمثال ثوبان آدم عبد الله الإلوري الذى تأمل في خلق السماوات والأرض وما فيهما، ودعاه ذلك إلى تكبير الله وتهليله وتسبيحه وتحميده وثناء عليه. وذلك في دوينه المسمى " ديوان الله أكبر وحي الآذان في تكبير رب الأكوان" من آي الآذان" قال فيها:

أقول إذا ما النور قد سطح الدجى ** لدى الفجر والإشراق الله أكبر[11]

المديح:

فالعواطف التي تثير وجدان الشعراء النيجيريين تجاه المديح نابعة عن إعجابهم بالممدوح أو حبهم له، أو عرفانا بالجميل له، أو عن إرادة تهنئته على إنجاز حققه، أو ترحيب به، أو توديعه، أو أو تعريفه للناس، أو تأييده على أعدائه أو خصمائه، أو إهداء العمل الأدبي إله. وأكثر المدائح في نيجيريا مدح الرسول والعلماء وشيوخ الطرق الصوفية ثم يليهم الأمراء والملوك والحكام ومؤسسات علمية. نأخذ أبياتا من

قصيدة محمد قاسم محمد الثاني بعنوان: "قصيدة وبل الصدى في مدح رسول الهدى" نموذجا للمديح النبوي حيث يقول:

أجمل به من نبي خلقه عجب ** ما يعتريه- طوال العمر -نقصان

عن خلفه قد أتت أي بلا عدد ** بل خلقه- فإذا قسناه- قــرآن

وهو الأمين ولا يرضى الخيانة في **كل الشئون ولو ساءته أزمان

ما أخلف الوعد قط مجتبى عجبا ** وليس من طبعه إفك وبهـتان

نعم الرسول وفي أحــواله عبر ** الصبر ملبسه والصـدق تيجـان

قد أرسل الله يس رحمة وهدى ** للعالمين وفي الفرقان سلطـــان

فقد دعا قومه بالصبر والحكم ** والصـــبر يعقبه روح وريحـــان

وكم يقاسي من الكفار فتنتهم ** منها الحصار وتكذيب وعـدوان

وبلغ المصطفى الهادى بلا فشل ** رسالة الله لا يعلـــوها أديان

نعم الثبات ونعم الصبر يا سندي ** يا خاتم الأنبيا للرسل معوان[12]

الرثاء:

نأخذ نموذجا لذلك من قصيدة الشيخ محمد غبريم في رثاء الشيخ أبوبكر عتيق عام 1974م يقول فيها:

فدعاك ربك يا عتيق ولم تزل **في حـــالة مغبوطة تستسعد

ودعاك ضنًا أن يــراك لغيره ** مستأنسا مستخلصا تستعجد

فدعـاك دعوة راحم متحبب ** فأجبــته بإجـــابة تستحفد

فخباك خبأة مجسن مستخلص** لمـــراده وبرحـــمة يتغـــمد

الله يغفر ما جنيت من الخـطأ ** والله يســـتر والنبي مجـــمد

وسقى ضريحك ديمة منهلة ** من فيض رضوان الإله فتسغد[13]

في هذه الفترة ظهر لون جديد من الرثاء فهو رثاء غير إنسان، فهذا الدكتور عيسى ألبي يرثي ديكا محترقا قائلا:

يا ديك ما ذنب الصياح** . تفشيه في الفجر المــلاح؟

وتمـــدّ عرفــك فيه في ** زهـــو يحبب وانشـــــراح

يصحو به مـــن قد تعـ ** ـمق في المنام إلى الصياح

ويعود يعد الصمت للـ ** دنيا النشاط كـــذا المـراح

إني رأيتـــك تلتـــظى ** يومـا بلا أثر الجنـــــاح

تجـري ضليلا حـــائرا ** والنـــــار مسكرة كـــراح

هو مشهد سأظل أذ **كـــره وفي القلب الجـــــراخ[14]

الوصف:

وصف النيجيريون الأشياء المحسوسة كما وصفوا المناسبات والرحلات وصفا دقيقا، فمنها وصف عبد الرحمن الزكوي مؤتمر خريجي مركز التعليم العربي الإسلامي بأغيغي عند الاستعداد للإحتفال بمرور أربعين عاما من تأسيسه عام 1991م، يقول:

لقد شاهدت مؤتمرا كريما ** بقاعة مركز التعليم طابا

دعـــا متخرجيه خير بابا ** لدعوته لذا كل أجـــابا[15]

الغزل:

هناك ألوان ثلاثة من الغزل في الشعر العربي النيجيري، الأول التغزل بالمرءة والثاني الغزل الصوفي المعروف بالغزل الإلهي والثالث التغزل بأشياء أخرى مثل اللغة كما في قصيدة إبراهيم موسى البدوفي الذى يتغزل باللغة العربية قائلا:

يا ندرتي إن قلبي ظل يهواك ** وليس ينسي–طوال الدهر– ذكراك

لما بذلت وما أنفقت من جلل** ومـــا وهبت جمـــالاً ثم معنـــاك

سماء فضلك عليا لا تشاكلها ** سماء فضل وهـل لي من مزايـاك؟

سبقت غيرك فهمًا ثم معـرفة ** وحكـمة وحيـــاءً بـل محـــياك

هذا جمال فتاة كنت أطلبـها ** لا شـــوه الله مـــرآنا ومـــرآك

إن العيون كثرن لا أعددها ** حسنا وطيبا–ورب البيت– أرضاك

وكل كثرتها لم تلهني شغفا ** فضلا عن النطق فيها مثل مهـواك[16]

الشعر السياسي:

للشعر السياسي أغراض كثيرة منها المدح والرثاء والهجاء والنقائض والتحذير والتحريض والنصيحة والإعتذار والشكوى وغيرها. نكتفى بقصيدة سنوسي عبد الله يعقوب، التى قالها فى حركة التحول من الحكومة العسكرية إلى الحكومة المدنية فى نيجيريا عام ١٩٨٩م. قسم معانى القصيدة إلى أجزاء مختلفة فمنها ما كان إرشادا للمنتخبين ومن ذلك يقول:

لا تعجلـوا تأييـد جميعـاتها ** حتى إذا اتضح المـلاذ لشعـبنا

فـإذا اشـتركتم فى الإدارة أيـكم ** كالـرائق المأمـون فى تقويمـنا

أهل السياسة هكذا مسعـاكم ** فلتخـذروا العقبى وعوا إنذارنا

تـأبى السياسة أو يتم صـلاحنا ** أو يـوشكن الله نـصر جنابنا

وليحـذر المـدني روم غـرورنا ** أو نأبـين الانتخاب جميعنا

فرسـالتى مـهدوفها يدعو إلى ** أكـياسنا أن يزجروا إخواننا

بنصـيحة فعالة أن يمهلـوا ** حتى يتم الوعد من زعـمائنا

فالحر يـنجز وعده مـما وعد ** أكرم بهـذا لو وفى بعهودنـا[17]

نكتفي بما أوردنا نموذجا للشعر العربي في نيجيريا في هذه الفترة لضيق المقام، ونلاحظ أنه امتاز بسهولة الألفاظ و سلاسة الأفكار والمعاني النبيلة المستمدة من تعإلم الإسلام وقيمه كما يتصف يالعاطفة الصادقة والأخيلة الرائعة وحسن الديباج والجرس الموسيقي المطربة والسلامة من التعقيدات .

ويجدر بالذكر أنه ظهرت قي الفترة عدد من الدواوين كديوان هدية الأحباب والخلان للشيخ أبوبكر عتيق الكتسناوي الكنوي نشر عام 1988م، واللقطات ديوان العلامة الإلوري الشيخ آدم عبد الله، نشر عام 1991م، وديوان نشر إلياسمين لعبد الرحمن عبد الزيز الزكوي المنشور عام 1991م والرياض ديوان الدكتور عيسى ألبي أبوبكر،نشر عام 2005م، وله ديوان آخر باسم السباعيات نشر عام 2008م، وحاوية الخلجات ديوان مصطفى سعيد أولاومي نشر عام2005، ونسمات البحر من نغمات الشعر لعبد اللطيف سعيد أولاومي وله أيضا قطرات الخاطر، وديوان القلائد للشاعر عبد الواحد أريبي جمعة، نشر عام2007م، وديوان صدف العواطف لإبراهم سعيد أولاومي نشر عام 2009، وديوان تحت الظل الممدود المنشور عام 2008م ،الذي يعتبر أول شعر مسرحي في الشعر العربي النيجيري،[18] وهو لإبراهيم سعيد أحمد. كما ظهر لون أخر من الديوان يشتمل على الأشعار المسماة بقصيدة الشعر الجر أو النثر الشعري أوالشعر المنثور مثل ما نشر لعبد الحفيظ أيندي أولادوشو عام2010م. فمن المستحسن في هذا الصدد أن نورد نموذجا لهذا النوع الأدب المستجد في الأدب العربي النيجيري لنقدر القِمَّة التي بلغها الأدب النيجيري فيما يسمى بعصر الإزدهار[19]:يقول الشاعر الكاتب فيما عنوانه "قريتي" تصويرا لحال نيجيريا:

يعرف العالم مكانها

أكبر بلاد السود في العالم

يعرف العالم تاريخها

مستعمرة تطالب بالاستعمار مرة ثانية

يعرف العالم مكوناتها

هوسا، يوروبا، إيبو،وآخر وآخر

يعلم العالم بثروتها

"قرية تؤتي أكلها كلّ حين باذن ربّها"

يعترف العالم بمضمونها

شمالها ثربيّ كجنوبها

هواؤها نقي كالفردوس

يعرفها العالم

تقدر على الإصدار

وتفضل الإستيراد

يعرفها العالم

قرية كفرت بأنعم الله

فأذاقها الله لباس الجوع

بعد الشّبع

والخوف

عقب الأمن

والضّلال

بعد الهدى

والسّهر

بعد النّوم

يعرف العالم مواطنيها

يسوقون السيّارات الجديدة

في طرق وعرة

يعرف العالم سكانها

يشاركون في انتخاب

صدرت نتيجته منذ أمس

يعرف العالم سكانها

أغنام يرعاها ذئب

يعرف العالم سكانها

عباد الله في الجهر

أتباع الشّيطان في السّرّ

ينتظرها العالم

العالم ينتظر قريتي

وقريتي لا تزال تغطّ في نومها[20]

النثر

تطور النثر الفني بمختلف فنونه في هذه الفترة ويتناول جميع ميادين الحياة الدينية والأدبية والاجتماعية والأكاديمية والسياسية والاقتصادية والصحافية وغيرها. فوجدنا أفذاذا يؤلفون في الأدب العربي مثل الشيخ آدم عبد الله الإلوري في كتابه: *مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية* وكتابه *"لباب الأدب(1972)*، وعلي أبوبكر صاحب كتاب *"الثقافة العربية في نيجيريا* (1972) وأحمد غلادنث صاحب كتاب *حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا*، وعبد الرحيم عيسى الأول صاحب *الكشاف في الأدب العربي* (1999م) وزكريا حسين صاحب *المأدبة الأدبية*. (2000م) وعثمان عبد السلام محمد الثقافي بكتابه: *تاريخ الأدب العربي في مدينة إلورن من العصر الإسلامي إلى عصر ما بعد الاستقلال* (2007م) وعبد الوهاب دنلادي شيث، صاحب كتاب: *الشعر العربي النيجيري بين الماضي والحاضر*،

وفي النقد نشر على نائبي سويد كتابه: *كيف نتذوق الأدب العربي*، ومحمد أول أبوبكر في كتابه: *محمد النويهي في النقد والأدب (2002م)*، ومحمد أمين الله الغمبري كتابه: *صور من الاتجاهات الفنية في أدبنا العربي النيجيري المعاصر* (2003م)، وللأستاذ الدكتور عبد الباقي شعيب أغاكا كتاب: *أساليب بلاغية*

في ديوان الأستاذ عبد الله بن فودي (2005م) وكتاب: *البلاغة القرآنية لدى عبد الله بن فودي* (2009م)، وعبد الواحد أربيي جمعة صاحب كتاب: *معايير النقد الأدبي* (2008م).

وفي القصة تاقصيرة والشعبية، ظهر للأستاذ الدكتور إسحاق أوغنبي كتاب: *القصص الشعبية عن السلحفاة عند اليوربا(1975م)*، وللأستاذ الدكتور زكريا حسين كتاب: *قصص خط الاستواء*(1999م).

وفي المسرحية وجدنا كتاب *العميد المبجل* لأستاذ الدكتور زكريا حسين، وهو أول مسرحية منشورة في البلاد وذلك في سنة 1994م، وظهر بعده مسرحية *أستاذ رغم أنفه* سنة 2003م للإمام مسعود عبد الغنى أديبايو الأويووي، وللأستاذ زكريا حسين مسرحية أخرى منشورة باسم *التاجر وصاحب المطعم*. وفي 2009م صدر مسرحية *الطالب المفتر* لإبراهيم ليري أمين وترجم آدم سراج الدين مسرجية *الحبل الأبيض في أيد ملوث* لسعيد سليمان إلى العربية عام 2008م

وفي الرواية، ترجمت الروايات اليوربوية أو الإنكليزية أو الهوسوية إلى اللغة العربية، ومن الذين ساهموا في ذلك أحمد عبد السلام صاحب *قصب المخيم*، ومسعود راجي صاحب *أعشاب ملتهبة*، ومشهود محمود جمبا صاحب *الصياد الجريء في غابة العفاريت ل دي*. أو. فاغنو، ومسرحية جيرو لوولي شوينكا، وهناك بحوث من هذا القبيل في مكتبات الجامعات والكليات قدم لنيل درجة علمية لا يزال مخطوطا. وقد ظهرت أخيرا الأصالة والإبداعية في الرواية العربية في نيجيريا وتعالج شتى القضايا الإنسانية، وتصبغ بصبغة إسلامية. ومن الذين خاضوا غمارها آدم يحي الفلاني برواياتيه *أهل التكرور* وعلى *الطريق وراعي الغنم*، ومنهم حامد محمد إبراهيم الهجري صاحب *خادم الوطن* .

واستمر في الفترة كتابات في ترجمة الأعلام مثل كتاب مع منبع العرفان الشيخ أبي بكر الصديق المسكين بالله لحامد محمد المختار إسلي كوتو المنشور عام 2002م.

وظهر في الفترة فن الرحلة ودراسته. ومن الذين أسهموا فيه وشهود محمود جمبا في كتابه: *من إلورن إلى تمبكتو* نشر عام 2009م. وسليمان صالح الإمام الحقيقي الإلوري الذي كتب عن *أدب الرحلة عند العلامة الإلوري* عام 2010م.

وفي السياسية والحكومة، كتب الشيخ آدم عبد الله الإلوري : *حقوق الإنسان وقوانين الزمن*، وأحمد سعيد الرفاعي في كتب: *فلسفة الديمقراطية في نيجيريا والمفهوم الإسلامي منها*[21] وظهر في العلوم *مثل البسيط في العلوم* لإسحاق يوسف أجنيفيسن[22] كذلك صرف بعض المؤلفين عنايتهم إلى الكتابة في علم اللغات أمثال: أحمد عبد السلام الذي كتب في استخدام الرموز العربية لكتابة لغة يوربا المعروف "بالعجمي" في كتابة: *هيا نكتب لغة يوربا بالرمز العربي*. وحمزة إشولا عبد الرحيم في كتابه: *المدخل إلى فونولوجيا العربية لطلاب المعاهد والكليات بغرب أفريقيا*[23] وصدر في مجال الدراسة اللغوية كتاب: *العولمة اللغوية، تبعات حضارية للغة العربية* (2008) لأحمد شيخ عبد السلام وغير ذلك من المجالات الجديدة التي لم تشهدها العصور الأدبية السالفة. ثم بزغ إلى حيز الوجود في الأدب العربي النيجيري فن المقامات على يد محمد الأول عبد السلام، الملقب بصاحب القرآن.

وعلاوة على ذلك، صدرت في هذا العصر عدد من المجلات والجرائد العربية المحضة، بجانب المجلات الأكاديمية في الجامعات والكليات، أمثال "صوت الإسلام" مجلة تصدرها نقابة المركزيين ومجلة "الرسالة" أولى المجلات التجارية باللغة العربية في نيجيريا تصدر في إلورن تحت إدارة مشهود محمود جمبا، وساعد ذلك تطور فن المقالة

وتطورت الخطابة تطورا ملموسا خصوصا الخطب المنبرية حيث تحدد موضوعتها لتوافق قضية الساعة وتترجم فورا إلي لغات يفهمها السامعون. وقد جمع بعض الخطب المنبرية في كتاب *كالدلائل الخبرات في الخطب* المنبرية لعبد الرفيع ببتندي محمد الأول، نشر عام 2009م. كما تطور فن الأدعية التى اشتهرت بـ " الخطبة" التى كادت تندرس مع انقراض السلف حيث يعتمد المسلمون لاليوم على أدعية السلف الصالح

وأذكارهم وأورادهم فأحياها أمثال زكريا حسين بأمثال استفتح الفتاح بسورة الفاتحة وعدة صلاوات وعبد الوهاب زبير الغماوي في خطبته لسورة الفاتحة، وغيرهما.

وهناك بعض الأمور الإدارية، والمدرسية، والاجتماعية، والسياسية، والإقتصادية، يستخدم النثر العربي لتحقيقها أمثال: الإعلانات، والدعوات، والشهادات والتزكيات، والاستمارات، والقوانين، والدساتير، ومحضار الاجتماع والتقارير، والتوقيعات، وغيرها مما يدل دلالة واضحة على أن النثر العربي قد بلغ أوج تطوره في نيجيريا في هذا العصر في أنواعه، وفنونه، وأغراضه وأشكاله.

فضيق نطاق هذا البحث القصير يحول دون ذكر النماذج المتعلقة بالكتابة النثرية في العصر، وللاستشهاد نكتفي بهذه القطعة من رواية *خادم الوطن* لحامد محمود أبراهيم الهجري حيث يقص لنا كيف وفق للانخراط في سلك خدام الوطن في ذلك العام بعد مشقة عنيفة وكيف سرّه هو ووالده ذلك، يقول:

> وفق نور في الانضمام إلى مخيم هذا العام ضمن الفيلق الأول لفريق (ألفين وثمانية) بعد ما عاني المتاعب العويصة أصعبها، والمشكلات العظيمة أعضلها، وبعدما هبّت العواصف أعاصير، وقصفت خطوبا دامية.
>
> سافر إلى (جوس) مباشرة ليلتقي مع أبيه حاملا إليه بشرى هذا القبول، ويزف إليه أيضا باقة الرَّوح والبهجة ليشاركه الفرح والسرور لهذا النجاح الباهر، فرحّب به الأب كل الترحيب، وشاركه في الفرح بانشراح وانفراح، وأسبل عليه أياديه، تعبيرا عن هذا السرور، كأنه هو نفسه الذى وجد هذا القبول! بهذا عرفه منذ نعومة أظفاره تحت رعايته وتربيته! إذ يعتبر شأن ابنه شأنه، أو أهم من شأنه، يحمل وحده عبء مستقبله ونجاحه، لأنه جعل نفسه المسؤول الوحيد عن سعادته ونجابته، ولم يزل يعلمه أن الحياة كفاح مستمر، ويهبه ما لديه من نفس ونفيس، حتى صار له دائما دوحة مثمرة تظلله من وهج الفتن وحرور الزمان، وما وهن جهده

في بذل الخير وما استكان، وما نضب بحر جوده وما غاض، ذلك هو أبوه العطوف المعطاء.[24]

فاتصاف هذه القطعة بالبساطة والوضوح ،وحسن الصياغة والديباجة، والتوازن في العبارة، والروعة في التصوير والتنوير، والإبداع في الموضوع والموصوغ وغير ذاك، لدلالة على أن النثر الفني قد حيز المكان المرموق الاحق به في الأدب العربي، وأنه قد خرج من كونه مستخدما للغرض الديني وحده.

هذه هي مرأة شفافة لحالة العربية وأدبها في نيجبريا في الفترة المختارة، وقد تمكنت هذه الثقافة في البلاد حتى لحظنا، بالإضافة الى الإقتراض المشهور في لغات نيجيريا كهوسا وفلانية ونوبية ويوربا وغيرها، كانت كلمات العربية وبعض عباراتها متداولة في خطاب نيجيريين بمختلف ألسنتهم، وحتى عند المسحيين منهم، مثل " إنا لله وإنا إليه راجعون" إذا توفي أحد، و"إن شاء الله" عندما يواعدون، ووالله تالله، عند القسم و "الحمد لله" و "يرحمك الله" و"يهديك الله "عند العطش و"رمضان كريم" في رمضان، و"مع السلام" و "بالسلام" عند التوديع، وهلما جرى.

خاتمة

خلال السطور السابقة ناقشنا الثقافة العربية في ديار نيجيريا من بعد استقلالها عام 1960م الى الجزء الأول من عام 2010م وأدركنا أن الفترة كانت فترة ذهبية للغة العربية وثقافتها في نيجريا، حيث استفاد نظامها التدريسى من أحدث أسإلب وطرق تدريسية في العالم اليوم، بواسطة اسهامات المؤسسات العلمية واحتكاك أعلامها بالعرب عن طريق الوفادة العلمية، وعن طريق الحصول على الكتب اللغوية والأدبية الحديثة، وعن طريق أجهزة العولمة، كما بلغت إنتاجاتهم الأدبية القمة التى بلغتها في الدول العربية والإسلامية من حيث الروعة، والجمال، وحسن الديباج، والبساطة وعدم التكلّف البديعي.

وندعو الباحثين الى الاهتمام بأعمال علماء وأدباء هذه المنطقة دراسة وتقديما حتى تسلم من الطمور ويعرف العالم ما لهذه الديار من كنوز علمية وأعلام قادرين وأدباء فحول.

هوامش

1-محمد حبيب محمد: "المشاكل التي تواجه تطبيق منهج اللغة العربية وطرق حلها في المستوى الجامعي وما قبله في نيجيريا" في نتائس مجلة أكاديمية سنوية لمنظمة معلمي الدراسات العربية والإسلامية بنيجيريا، ص86

2- سليم حكيم: تعليم اللغة العربية في نيجيريا، وزارة الثقافة والإرشاد الجمهورية العراقية. بغداد، 1966 م. ص43

3- عبد الرزاق ديريمي أبوبكر: "حاضر اللغة العربية في نيجيريا" في نتائش مجلة أكاديمية سنوية لمنظمة معلمي الدراسات العربية والإسلامية بنيجيريا، العدد 6 رقم 1. ص 207

4- زكريا حسين: المأدبة الأدبية لطلاب العربية في إفريقيا الغربية، دار النور، أوتشي، نيجيريا.2000م. ص199.

5- زكريا باباتندي نافع : أخبرني بذلك عند المقابلة معه في التاريخ 2010- 06-12

6- عمه أحمد خرسه:"الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني: حياته واسهاماته في نشر الثقافة العربية

والإسلامية في نيجيريا" في يحي إمام أوييوولي الإدارة العامة والتكنولوجيا الإعلامية في منظار الدراسات العربية والإسلامية، مجلة جمعية معلمي الدراسات العربية والإسلامية بنيجيريا، 2009م-1330هـ. ص150

7- لطيف أونيريتي إبراهيم وغيره: "منهج الشيخ آدم عبد الله الإلوري في إعداد الشعراء"، in el-Harakah Jurnal Studi Islam Dan Kebudayaan,Vol.9,Universitas Islam Negeri(UIN), Malang,Indonisia. P12

8- عيس ألبي أبوبكر : ديوان السباعيات،النهار للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة.2008م.ص58

9- أحمد أبوبكر أَباجَيْ الأفوى، الذي افتتح قصيدته الترحيبية للشيخ محمد جامع دنداو وغيره لمناسبة وليمة ختم القرآن الكريم بمدينة أوفا يوم السبت 22 من جمادى الثانية 1409هـ الموافق 28 يناير 1989م

10- موسى عبد السلام أبيكن: " في السماء آيات" قصيدة مخطوطةأبياتها 45، نظمها عام 2002م

11-محمد ثوبان آدم عبد الله الإلوري: ديوان الله أكبر وحي الآذان في تكبير رب الأكوان ، مركز العلوم أوتب، ليغوس. 1420هـ - 1999م. ص2

12محمد قاسم محمد الثاني بعنوان: "قصيدة وبل الصدى في مدح رسول الهدى" نموذجا للمديح النبوي

13- محمد الأمين عمر : الشيخ أبوبكر عتيق وديوانه هدية الأحباب والخلان، زاوية أهل الفيضة التجانية، كانو- نيجيريا. 1988م ص24- 25

14- عيسى ألبي أبوبكر : ديوان الرياض ، مركز عبد الله عمر نصيف الإسلامي الحيري، إلورن، نيجيريا 2005م. ص 150.

15- عبد الرحمن عبد العزيز الزكوي: ديوان نشر الياسمين، مركز أوتبو، أغيغي. 1991م ص5

16- إبراهيم موسى البدوفي: قصيدة قالها في سوق عكاظ، أقامها اتحاد طلبة رواق دن فوديو، القاهرة بالتاريخ 2009/8/16م.

17- عبد اللطيف أونيريتي إبراهيم: "الشعر الساسي العربي في نيجيريا"، في الحضارة، مجلة قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، جامعة ولاية ليغوس.

18-عيسى ألبي أبوبكر: " اللغة العربية وآدابها في نيجيريا: آفاق التطور ولازدهار" ورقة قدمها في مؤتمر الأدب الإسلامي في القاهرة عام 2010م. ص9.

19 -زكريا حسين: المرجع السابق ص89

20- عبدالحفيظ أيندي أولادوسو : الليل الأبيض، شركة الممتاز للنشر والتوزيع، ليغوس. 1431هـ- 2010م ص71-73.

21 -أحمد سعيد الرفاعي: فلسفة الديمقراطية في نيجيريا والمفهوم الإسلامي منها، مطبعة الأمين، اتيري، ليغوس، نيجيريا. 1996م.

22 -إسحاق يوسف أجنفيسن: البسيط في العلوم للمبتدئين، مطبعة أشيواجو المحدودة، كنو، لاجوس، نيجيريا. 1989م.

23- حمزة إشولا عبد الرحيم (الدكتور): المدخل إلى فونولوجيا العربية، مطبعة التوفيق إلورن، نيجيريا 1989م.

24 حامد محمود إبراهيم الهجري: خادم الوطن، Alabi Printing Production, Ilorin 2008م. ص 24.